الحديث التاسع والعشرون

عَن مُعَاذ بن جَبَل رضي الله عنه قَالَ: قُلتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَخبِرنِي بِعَمَلٍ يُدخِلُنِي الجَنَّةَ وَيُبَاعِدنِي مِن النارِ قَالَ: (لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيْرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللهَ لاَتُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيْمُ الصَّلاَةَ، وَتُؤتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُوْمُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ البَيْتَ. ثُمَّ قَالَ: أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيْئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ثُمَّ تَلا : (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) حَتَّى بَلَغَ: (يَعْمَلُونَ) [السجدة:١٦-١٧] ثُمَّ قَالَ: أَلا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ ؟ قُلْتُ: بَلَى يَارَسُولَ اللهِ، قَالَ: رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامُ وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ ثُمَّ قَالَ: أَلا أُخْبِرُكَ بِمِلاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ ؟ قُلْتُ:بَلَى يَارَسُولَ اللهِ. فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا. قُلْتُ يَانَبِيَّ اللهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ. وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَو قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلسِنَتِهِمْ)
رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

راوي الحديث

الراوي والسائل هو معاذ بن جبل وهذا أمر يحتاج إلى وقفة.

معاذ بن جبل شاب من الأنصار صاحب معاذ النبي ﷺ وهو ذكي وحريص جدًا على طلب العلم حتى عده النبي ﷺ أعلم الأمة بالحلال والحرام. وقد شهد أنه يحبه جدًا, فمعاذ لم يكن عالمًا عاديًا بل كان إمام العلماء.

قد يقول قائل هذا السؤال قد يسأله أعرابي أو شخص حديث الإسلام ولكن الشاهد أن السائل الآن هو معاذ بن جبل.

وهذا فيه دلالة على خطورة هذا السؤال وفقه السائل, لأن السائل علم أن هذا هو غاية الدنيا, أي: نهاية الدنيا جنة أو نار, فهو يريد الخلاصة.

قالﷺ لرجل لا يحسن الدعاء : "أنت بم تدعو في صلاتك؟" « قال أدعو بالجنة واستعيذ بالله من النار», قالﷺ "حولهما ندندن".

أي أن كل الأدعية وكل ما نفعله في حياتنا هو في الأخير مَرده إما إلى الجنة وإما إلى النار.

حديث من جوامع الكلم للنبيﷺ

الحديث ظاهر جدًا في الاجابة لأن النبي أولًا أجاب سؤال معاذ وبين له الطريق الذي يدخله الجنة وينجيه من النار في قوله ﷺ (لا تشرك بالله شيئًا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ثم تصوم رمضان وتحج البيت).

وهذا هو الحد الأدنى, ثم بين له الزيادة في العمل ثم زاده وارتقى إلى مرتقى أعلى ثم حذره بأن يضيع ذلك كله بآفات اللسان.

فهذا الحديث استحق أن يكون من جوامع الكلم لما فيه من شمولية كبيرة.

إنه ليسير على من يسره الله عليه

نلاحظ أولًا في الحديث أن النبي ﷺ شهد لمعاذ أن السؤال فَذ, فقال ﷺ (لقد سألت عن عظيم) وأضاف ﷺ جملة ملفتة (وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه).

وهذا فيه دليل على أن سلوك الطريق إلى الله لن يكون إلا بالله ولن توفق فيه إلا إذا أعانك الله.

بعض الناس يفتقر في أول طريق الهداية فقط ويكثر من الدعاء ليسر الله له الطاعة فإذا تيسرت وتمكن منها يبدأ يستغني عن الدعوات وهذا خلل.

والذي يشهد حال النبي ﷺ أنه كان دائمًا يسأل لله.

• إذًا فأنا احتاج إلى الله واستمد الهدى منه, فإياك أن تعتمد على حولك وقوتك.
• فلولا الله لكان الإنسان ضائعًا.
• وهذا هو حال السائر الذي يريد أن يصل «افتقار دائم ـ واستعانة دائمة ـ وتوكل عظيم على الله ـ وتعلم أنك لن تصل إلا إذا يسر الله لك الطريق».
• فاجتهد وخذ بالأسباب مع حسن الاعتماد على الله سبحانه وتعالى.

طريق الجنة

بين النبيﷺ أن طريق الجنة هو فعل الواجبات وترك المحرمات ورأس كل ذلك أن يكون موحدًا لأن الله لا يقبل العمل إلا إذا كان خالصًا له.

الإنسان يحتاج أن يهتم بقضية التوحيد, وللأسف الكثير من المنشغلين بالطريق إلى الله يهتمون بالعبادات ولكن لا يهتمون بالتوحيد وهذه مسألة خطيرة.

ثم دله النبيﷺ على أداء الواجبات (تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت), وترك ما حرمه الله عليه, فهذا هو طريق الجنة.

لا جديد في طريق الجنة

• بعض الناس عندما يسأل عن شيء كبير يدخله الجنة يتوقع شيئًا جديدًا أو عبادة جديدة.
• وبعد هذا تجد أن السائل أُحبط لأنه كان متوقع أن يسمع جديدًا أو إسلامًا لم يسمع أحد عنه من قبل.

تأمل الآن سؤال معاذ ورد النبي ﷺ عليه، فهو ﷺ لم يخترع له دينًا جديدًا ولم يخرج عن المألوف.

• فالتزم بما أمر الله فقط, افعل الواجبات واترك المحرمات فـ «ما نشأت بدعة إلا ومانت سُنة».
• الطريق الذي يوصل إلى الله هو الطريق المعتاد الذي مشى عليه كل من كان قبلنا فلا جديد.
• الطريق لم يتغير لكن الذي يتغير هو أدائك وإحسانك وخشوعك في هذا الطريق وحسن سيرك في الطريق.

كرم النبيﷺ في الإجابة

نلاحظ أن النبي ﷺ زاد في الإجابة ليكرم معاذ.

• نستنتج من هنا أن العالم إذا وجد طالب العلم نبيهًا مجتهدًا فإنه يزيده في الإجابة لِكَي ينتفع أكثر.
• إذا كنت تعلم من السائل أنه بالكاد سيفهم ما تقوله ولا يتحمل الزيادة فتجيبه على قدر المسألة.

تابع الحديث التاسع والعشرون

فضل الصوم

أول أبواب الخير التي دل النبي ﷺ معاذ عليها هي الصوم, وهذا يدل على شرف الصوم.

معنى «جُنة»: هي الوقاية أو الحماية, لذلك يسمى الشيء الذي يحمى المقاتل المجن.

إذًا الصوم جُنة من ماذا؟

1- يحمينا في الدنيا من خطورة الشهوات لأنه يضيق الشهوة فإنه يضيق مسالك الشيطان.

فإذا وجد الإنسان نفسه يكثر من الشهوات فليكثر من الصيام

ولكن بشرطين:-

- **إكثار الصيام هو أن يصوم يومًا ويفطر يومًا.**
- **ويحسن الأداء, فيجعل يوم صومه مختلف عن يوم فطره.**

2- الحماية في الآخرة, فالصوم يبعدنا عن النار ففي الحديث أن صوم يوم يبعد عن النار سبعين خريفًا.

والصوم له درجات كبيرة وحسنات هائلة عند الله فلعله يحميك من أن يتفوق ميزان السيئات على ميزان الحسنات.

أهمية القيام في حياة المسلم

"صلاة الرجل في جوف الليل تطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار"، أهمية قيام الليل في حياة المسلم:-

- قيام الليل هو دأب الصالحين كما جاء في الحديث وهو مرضاة للرب مكفرة للسيئات.
- للأسف كثير من المنتمين للهدي والسنة والالتزام مقصرون في قيام الليل بل أنه قد لا يوتر وأحسنهم حالًا يُصلي الوتر قبل أن ينام.

معنى جوف الليل:-

- قالوا تعني وسط الليل.
- وقال آخرون هو آخر الليل.
- وفي آخر الليل هناك عبادة أخرى وهي الاستغفار.

فالإنسان يُعاتب نفسه وكما ذكرنا أنه يجب العمل بالعلم, فأنت الآن أخذت حديث معاذ بن جبل ماذا غير فيك؟

فإذا لم تخرج من هذا الحديث بالعمل بما فيه فنحن هكذا لم نتعلم شيئًا وسيكون حجة علينا.

رأس الأمر وعموده وذروة سنامه

رأس الأمر الإسلام, فلا يقوم شيء بغير رأس, فإذا ذهب الرأس ذهب كل شيء, فإذا كان الإنسان غير مقر لله بالوحدانية ولا يقر النبي ﷺ بالرسالة فهذا خرج تمامًا عن دائرة الإسلام وبالتالي عن دائرة قبول الأعمال.

فضل الجهاد عند الله تعالى

شبه النبي ﷺ الجهاد بأعلى شيء في الجمل وهي ذروة سنامه.

إذا تأملنا في العبادات سنجدها إما بدنية أو مالية أو بدنية مع مالية لكن الجهاد تفوق على جميع العبادات, فهو عبادة مالية وبدنية وشاقة جدًا وفيه احتمال كبير لخسارة الحياة أو قطع أعضاء أو الخروج بجراحات وآلام شديدة, والأجر على قدر المشقة, ولما كان الجهاد من أشق العبادات على النفوس والأبدان كان هو ذروة سنام الإسلام.

الصدقة تطفيء الخطيئة

فضل الصدقة وأهميتها:-

في الدنيا:-

1- يدفع الله بها البلاء.
2- الصدقة من أسباب البركة في المال.
3- الصدقة سبب انشراح الصدر وراحة القلب.
4- الصدقة تُطهر المال.
5- الصدقة دواء للأمراض الجسدية.
6- الصدقة دواء للأمراض القلبية.
7- الصدقة أمان من الخوف في الدنيا.
8- الصدقة توصل العبد إلى حقيقة البر.
9- الصدقة تجعل الإنسان يفوز بدعاء الملكين.
10- يذهب كل مالك ويبقى ما تصدقت به.

في الآخرة:-

1- الصدقة دليل على صدق العبد في معاملته مع ربه ولذلك سُميت صدقة.
2- تمحو الخطيئة.
3- الصدقة وقاية من نار جهنم.
4- المتصدق في ظل صدقته يوم القيامة.
5- المتصدق يدعى يوم القيامة من باب الصدقة.

والصدقة ليست بكثرتها:-

فالذي أخرج درهم أفضل منه لأنه أخرج نصف ماله.

فالصدقة بما وقر في القلب وليس بقدرها وإلا فالله غني عن جميع الصدقات ولكن هي بما يرى الله من المتصدق من الشفقة والرحمة, وهذا مصداق قول النبي ﷺ(اتقوا النار ولو بشق تمرة).

العمل الخفي أرجى عند الله

- الأعمال التي بينها النبي ﷺ لمعاذ هي أعمال خفية في الحقيقة.
- وكان النبي ﷺ يرشد معاذ للأعمال الخفية.
- فيجب في الطريق إلى الله أن نهتم بالأعمال الخفية,وهذا يوضح قدرك في الالتزام.

عمود الدين الصلاة

لا حظَّ في الدين لمن ترك الصلاة.

- كأن النبي ﷺ شبه الإسلام بخيمة كبيرة وفيها عمود في المنتصف وهو الذي يحملها فإذا أُزيل وقعت.
- لذلك أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة.
- هذا الحديث مما يُستدل به على كفر تارك الصلاة تكاسلًا فلا تستهن بتركها, تارك الصلاة من أهل العلم من يقول كافر ومنهم يقول فاسق.
- والعكس فكلما أهتم الإنسان بالصلاة وأركانها وخشوعها كلما زاد عموده قوة وكلما زاد قوة كلما حمل أكثر.

مِلاكُ ذلك كله

ستثار النبي ﷺ ذهن معاذ بن جبل بسؤال وهذا من الطرق التربوية, فيجعل المُتلقي يقول, بلى فينشط للسماع, واستعمل النبي ﷺ أيضًا التصوير «فأخذ بلسانه وقال كُف عليك هذا» أي:اللسان.

لماذا مِلاك ذلك اللسان

- لأن اللسان عن طريقه يمكن أن تهدم جميع ما سبق وبسهولة جدًا وهذا لأنه لا يتعب.
- ومع كثرة الكلام وعدم حساب الكلمات تجد أنك قد أضعت الكثير من حسناتك.
- لذلك من فقه العمل الصالح ليس أدائه وإنما الحفاظ عليه بعد أدائه.
- فلا تضيع عملك بالغيبة أو تهدي أحدًا حجك أو عمرتك أو صلاتك فقط لأنك تحدثت عليه بكلمتين وتُكب أنت في النار.
- وكأن الوصية النبوية تقول لمعاذ إن كثرت عليك أعمال الخير فاعمل ما تستطيعه ولكن حافظ عليه.

الحديث الثلاثون

عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الخُشَنِيِّ جُرثُومِ بنِ نَاشِرٍ رضي الله عنه عَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ اللهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلا تَعْتَدُوهَا وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ فَلا تَبْحَثُوا عَنْهَا)،
حديث حسن رواه الدار قطني وغيره.

عظمة الحديث

هذا حديث عظيم لأنه من أصول هذا الدين بل بعض العلماء قال أنه أجمع الأحاديث لأنه بُين فيه أربع أمور لا يخرج عنها الدين، فبين:-

القسم الأول:- الفرائض وبين فيها المطلوب«لا تضيعوها».
القسم الثاني:- الحدود والمطلوب «لا تعتدوها».
القسم الثالث:- المحرمات والمطلوب «لا تنتهكوها».
القسم الرابع:- مسكوت عنه والمطلوب «لا تبحثوا عنه».

فمن التزم بهذه الأربعة أقسام نجى وتفاوت الناس في الدنيا هو تفاوتهم بالتزامهم بهذه الوصايا.

وقوتك في الطريق إلى الله بقدر الفرائض التي تلتزم بها وبقدر المحرمات التي تنتهي عنها ولذلك تفاوت الناس فيها كبير.
• فهناك من يترك أغلب المحرمات.
• وهناك من يترك نصفها.
• وهناك من يفعل أغلبها.

وهذا هو من يضع الضابط من يعمل بهذا الحديث هو الأفضل عند الله.

ما هو الواجب في الفرائض

الواجب في الفرائض هو ألا نضيعها.

تأمل قول النبي ﷺ «لا تضيعوها», ولم يقل افعلوها وكأن الذي لا يفعل الفرض يضيع يوم القيامة.

معنى الحدود هنا

وحدّ حدودا فلا تعتدوها:-

1- الحدود أحيانًا تُطلق على حدود الشريعة مثل رجم الزاني وقطع يد السارق و.....
2- المعنى الثاني: الحدود والمحرمات, فالزيادة عند الواجب تعتبر اعتداء, وفي المُحرم لا نقترب منه.
3- القول الثالث: أن الحدود يقصد بها المباحات (كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه).

وكأن أن لنا المباح فقط فلا نعتدي ويُفضل أن لا نقترب لأن إن اقتربنا سنعتدي ونقع في المَحرم.

وحرم أشياء فلا تنتهكوها

• النبيﷺ بين لنا أن طريق الإسلام طريق مستقيم وحوله ستور فإذا انتهك الإنسان سترًا من هذه الستور سيلجُها, (لا تفتحه إنك إن تفتحه تلجه).
• فيستلزم من الإنسان أن يتعلم ما هي المحرمات, فبعض الناس تنتهك الحرام لأنها لا تتعلم.

وكل هذا علم واجب على الإنسان تعلمه ويلتزم به.

المسكوت عنه

وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها.

• فهي أشياء لم يقل عنها واجب ولا حرام إذًا هي مباحة, فافعل ولا حرج.
• فالمسكوت عنه يدل على الإباحة وعدم المنع, والمسكوت عنه عادة يكون في غير العبادات.
• فالأصل في العبادات هي أن الله يأذن فيها فلو سكت الشرع عن أداء عبادة إذًا هي ليست عبادة.

والعكس في باب المطعومات والمعاملات فالأصل فيها الحِل

•فإذا سكت الشرع عن شيء فيهما فهي جائزة وحلال ولا يحتاج دليل عليه.

أما بعد موت النبيﷺ السؤال في الدين جائز لأن لن يستجد شيء في التحريم بعد موتهﷺ, لكن يظل هناك أشياء يجب أن نسكت عنها مثل السكوت عن مسألة لا يترتب عليها عمل أو مسألة عميقة ليست في مستواك العلمي لأنك ما زلت مبتدئًا أو تسأل في مسائل افتراضية لا يمكن أن تكون أبدًا.

الحديث الحادي والثلاثون

عَنْ أَبِي العَبَاسِ سَعدِ بنِ سَهلٍ السَّاعِدِي رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبي ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلتُهُ أَحَبَّنِي اللهُ، وَأَحبَّنِي النَاسُ ؟ فَقَالَ: (ازهَد في الدُّنيَا يُحِبَّكَ اللهُ ، وازهَد فيمَا عِندَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ)
حديث حسن رواه ابن ماجة وغيره بأسانيد حسنة.

علو الهمة في السؤال

صيغة السؤال في الحديث تدل على فقه السائل, فليس الشأن أن تحب الله وإنما الشأن هو أن يحبك الله, والله إذا أحب عبدًا لا يعذبه.

وهذا الرجل سأل سؤالًا يمنع عنه العذاب وبالتالي يترتب عليه سعادة الدنيا والآخرة, وسأل عن عمل إذا عمله أحبه الناس فإذًا من عمل شيئًا لكي يحبه الناس فهذا ليس رياءًا إذا صحت النية.

• فأنت تريد عملًا لله ومن الجميل أن يحبه الناس وهذا شيء مطلوب.
• والبغض في قلوب الخلق محفزٌ ومخوفٌ للبعد عن المعصية و عمل الطاعة.

والإنسان يتمنى أن يكون محبوبًا بين الناس ليس لأنه يرجو منهم ثوابًا أو يخاف منهم عقابًا ولكن جبلت النفس على ذلك وهذا من سعادة الدنيا.

حقيقة الزُهد

قال النبي ﷺ (ازهد في الدنيا يحبك لله) فما هو الزهد؟

التعريف الأول: إعراضٌ عن الشيء استقلالًا له واستحقارًا له.
التعريف الثاني: احتقارٌ كل ما يشغلك عن الآخرة.
التعريف الثالث: خلوُّ القلب من التعلق بما لا ينفع في الآخرة.

قال الإمام أحمد الزهد ثلاث درجات:-

1- البعد عن الحرام, وهما مستويان:-
• الحذر مما يضرك في الآخرة.
• الحذر مما لا ينفعك في الآخرة.
2- ترك فضول الحلال.
3- ترك كل ما يشغلك عن الله.

يقول النبي ﷺ(نعم المال الصالح مع الرجل الصالح).

لذلك قال بعض السلف ليس الزهد في الدنيا هو تحريم الحلال ولا إضاعة المال وإنما أن تكون بما في يد الله أوثق مما بما في يدك.

• فهذا عثمان بن عفان جهز جيش العسرة.
• ونفقة عبد الرحمن بن عوف أقامت الإسلام كثيرًا.

لماذا عندما أزهد في الدنيا يحبني لله

1- لأنك جعلت الآخرة في قلبك.
2- لأنك التزمت بأمر الله تعالى.
3- لأنك رأيت الأمور بمقاييس الله تعالى, فعندما ترى الدنيا بمقاييس الله يحبك الله.

وازهد فيما عند الناس يحبك الناس

وهذه الوصية الرائعة تختصر عليك طريق محبة الناس

• فالناس فيها شح ويستثقلون من يريدون منهم شيئًا ,وهذه هي طبيعة الناس.
• الحديث بالأساس يقول ازهد في الدنيا فكيف ستزهد في الدنيا وتريد ما في أيدي الناس.

وهذه نصيحة مهمة جدًا للدعاة والعلماء والأئمة والقُراء وهو أنه لا يطلبوا من الناس أموالًا إلا إذا احتاجوا, أما إذا لم يحتاج الإنسان فلا يطلب من الناس الأموال ولا يتشوف لها وحتى الهدية يأخذها من باب الأخلاق.

فعاش النبي ﷺ في أيام الهجرة وبعدها وقبلها وفي أيام الشدة والرخاء زاهدًا في متاح الدنيا, طالبًا للآخرة, وقد تأسى به أصحابه الكرام.

إذًا فالزهد ليس لبس الصوف والمقطع.

• فإذا أتت لك الدنيا فخذها لكن لا يتعلق قلبك بها واستعملها في طاعة الله تعالى.
• لا تطلب من أحد شيئًا وادعو للناس دائمًا بالبركة والخير.